موقف فرنسا

كان الموقف الفرنسي باستغلال اليهود لتحقيق اهدافه سبّاقا على البريطانيين. وكان نابوليون عندما قام بحملته على الشرق عام ١٧٩٨، قدو عد اليهود الفرنسيين، بأنه سيعيد الشعب اليهودي إلى القدس، كما سيعيد بناء هيكل سليمان، إذا وقفوا الى جانبه ومدوا له يد العون والمساعدة. وكان للدعاية التي انتهجها اثرها الكبير، حتى أنه أصدر منشوراً بهذا الخصوص كان له وقع طيب في نفوس المتنفذين من يهود فرنسا. لكن هذه الجهود ذهبت ادراج الرياح عندما عجز نابليون عن افتتاح عكا والسيطرة على فلسطين، حيث تراجع أمام أسوارها مرددا جملته الشهيرة «لو فتحت عكا، لفتحت الشرق». على ضوء ذلك، نرى ان الصهيونية والاستعمار وجهان لعملة واحدة، وتوأمان متلازمان، كلاهما مرتبط بالآخر، لا انفصال بينهما ولا قطيعة.

موقف الدولة العثمانية

في الوقت الذي نشطت فيه الحركة الصهيونية، واثناء انتقالها إلى مرحلة العمل المنظم بعدمؤتمر بال ١٨٩٧، كان على رأس السلطنة العثمانية السلطان عبد الحميد الثاني، الذي يعتبر اشهر سلاطين عهد الانحطاط واكثرهم دهاء. وخلال فترة حكمه، كانت خزينة السلطنة تعاني عجزاً كبيراً. وكانت هذه ثغرة أراد الصهيونيون عن طريق هرتسل التسلل بواسطتها للسيطرة على فلسطين، التي كانت تمثل جزءا من ممتلكات الدولة العثمانية. وبالاضافة الى ذلك، استغل هرتسل تنامي المقاومة العربية ضد الاتراك، والتي شكلت حركة من النهضة العربية كان لها اثرها الكبير في مختلف الولايات التي يقطنها العرب، فعرض مساعدته على السلطان في التغلب على المتاعب المالية التي كانت تعانيها الخزينة، وذلك بإغرائه بمبلغ خمسين مليون جنيه ذهبا، وتشكيل قوة عسكرية يهودية تقف إلى جانب الاتراك ضد الحركة القومية العربية والدفاع عن فلسطين. لكن رفض السلطان لاغراءات هرتسل، لم يكن مقنعا، فبقي يرسل الوسيط تلو الآخر لاقناع السلطان والتخلي عن إصراره على الرفض، إلا أن السلطان بقي على موقفه مدركا لمطامع الصهيونيين في فلسطين مخاطبا الوسطاء بقوله: «انصحوا الدكتور هرتسل بألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع. إني لا أستطيع ان أتخلى عن شبر واحد من الارض. فهي ليست ملك يميني، بل ملك شعبي. لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الارض، ورواها بدمه. فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإن مزّقت امبراطوريتي فلعلّهم يستطيعون آنذاك ان يأخذوا فلسطين بلا ثمن. ولكن يجب ان يبدأ ذلك التمزيق اولا في جثتنا، فإني لا أستطيع الموافقة على تشريح اجسادنا ونحن على قيد الحياة»[٣٨]. كما دعم السلطان اقواله هذه بتدابير عملية كان من شأنها منع اليهود من الهجرة إلى فلسطين.

وكان للنواب العرب في «مجلس المبعوثان» العثماني دورهم ايضا في فضح الألاعيب الصهيونية ومطامعها. وكان يوسف ضياء الخالدي وبطرس البستاني وشكري العسلي نائب دمشق، ونجيب نصار الصحافي اللبناني من اوائل العرب الذين تصدّوا بشجاعة للمحاولات الصهيونية وكشفوا دسائسها، بالاضافة لكثير غيرهم.

موقف روسيا

كان الموقف الروسي فيما يتعلق بالصهيونية وإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين